المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

أدوات الحرب في باب الحماسة من حماسة أبي تمام: دراسة دلالية

Tools of war in the door of enthusiasm from the enthusiasm of Abi Tammam Semantic study

بقلم الباحثة

امتنان بنت محمد بن جدّوع

معيدة

المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

أدوات الحرب في باب الحماسة من حماسة أبي تمام
دراسة دلالية

امتنان بنت محمد بن جدّوع

معيدة المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : semsemah@windowslive.com

الملخص

اتَّبعتِ الدِّراسةُ المنهج التحليليَّ الاستقرائي، بالسعي إلى إبراز العلاقات الدلاليَّة للألفاظ، والأخذ بأُسس النَّظرية التَّحليليَّة للكلمة، وتهدف الدِّراسة إلى:

١. بيان معاني المفردات بتفسير دلالاتها والتفريق بينها، وتحديد أصول الألفاظ في الدراسة من المعاجم العربية.

٢. إبراز الملامح الدلالية للألفاظ، وإيجاد نقاط الالتقاء بينها في الحقل الواحد ضمن نظرية الحقول الدلالية.

٣. دراسة أثر الملامح المصاحبة للألفاظ في نوع العلاقة بين ألفاظ الحقل الواحد.

اشتملت الدراسة مبحثين، يعقبهما خاتمةٌ بأهمّ النتائج.

طُبِّقت الدِّراسة على (٨) ألفاظ موزَّعَة في حقلين دلاليين، بالوقوف على معانيها، وتحليلها ورصد الملامح المصاحبة، والنَّظر في العلاقات بين الكلمات في الحقل نفسه.

وبرزت ملامحُ دلاليّة في الدراسة كالصَّلابة، والقوّة، والطَّعن، والقطع، ... وإجمال النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

جميعُ الألفاظ التي وقفت عليها الدِّراسة عربيةٌ محضةٌ، ليست مُعرَّبة ولا دخيلة، وهذا دليلٌ على عدم قصور اللُّغة العربيَّة في التَّعبيرِ، فكل مفردة تعبِّر

بدقة.

اتّضح الاستغناء عن بعض الألفاظ والإشارة إليها فقط لعدم ورودها متكررة في الباب من الديوان –رغم كثرة الاستعمال خارج حدود مادَّة الدراسة– وهذا حدَّ من إيجاد نقاط التقاء أخرى للملامح الدلالية لأن الألفاظ ليست ضمن الحقل الدلالي.

الكلمات المفتاحية: دلالة، لسانيات، أبو تمام، دراسة دلالية، الحماسة، حماسة أبي تمام، الأغراض الشعرية، الدوال، دوال، الدال، المدلول، أغراض الشعر.

Tools of war in the door of enthusiasm from the enthusiasm of Abi Tammam Semantic study

Imtenan bint Mohammed bin Jaddoua
Lecturer, Kingdom of Saudi Arabia
Email: semsemah@windowslive.com

Abstract

The study followed the inductive analytical approach, by seeking to highlight the semantic relationships of words, and to adopt the foundations of the analytical theory of the word. The study aims to:

١.Explaining the meanings of vocabulary by interpreting their connotations and differentiating between them, and determining the origins of words in the study from Arabic dictionaries.

٢.Highlighting the semantic features of words, and finding points of convergence between them in the same field within the theory of semantic fields.

٣.Studying the effect of the features associated with the words on the type of relationship between the words of the same field.

The study included two sections, followed by a conclusion with the most important results.

The study was applied to (8) words distributed in two semantic fields, by examining their meanings, analyzing them, monitoring the accompanying features, and examining the relationships between words in the same field.

Indicative features emerged in the study, such as hardness, strength, stabbing, cutting... ،

In summary, the results of the study:

All the terms on which the study was based are purely

Arabic, neither Arabized nor extraneous, and this is evidence that the Arabic language is not lacking in expression, as each word is accurately expressed.

It became clear that some expressions were dispensed with and referred to only because they were not repeated in the section of the Diwan - despite the frequent use outside the limits of the subject of the study - and this limited the finding of other points of convergence for the semantic features because the words are not within the semantic field.

Keywords: semantics, linguistics, Abu Tammam, semantic study, enthusiasm, Hamasa Abi Tammam, poetic purposes, signifiers, signifiers, signifier, signified, poetry purposes.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل لهذه اللغة المباركة مكانةً خاصّةً بين لغات الأمم المختلفة، وكفل لها الحفظ ببركة حفظه لكتابه الكريم، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا وسيِّدنا محمَّد -صلى الله عليه وسلّم- أفصح العرب وأبلغهم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإنَّ الاهتمام بالجانب الدّلالي للنَّصِّ يأتي نابعًا من تفكيرٍ عميق بأهميَّة ذلك وضرورته، فهي لم تأخذ حيزًا كبيرًا من البحث والتطبيق، بالرغم من وجود جذورٌ لذلك في تراثنا اللُّغويِّ العربيّ، فالمفسِّرون وعلماءُ اللُّغة وغيرهم يدركون تمامًا أنَّ الكلمات لم توضع مبعثرةً أو بشكل اعتباطيّ، فلم يدرسوا المفردة بمعزل عن سياق الكلام والعلاقات بين كُلِّ كلمةٍ وأخرى داخل الجملة الواحدة وهذا إيمانًا منهم بأنَّ الكلمة الحقيقيَّة هي الكلمة في السِّياق حتى وإن شاع معنىً لها بمعزلٍ عنه، وفطنوا إلى التَّصنيف بحسب الحقول دون استعماله مصطلحًا؛ فالمعاجم لم تعالج المفردات مركَّبةً على الرَّغم من تصنيف بعضها بحسب المعاني ووجود مُشتركٍ لفظيٍّ أو بحسب الموضوعات كما في كتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب النَّبات للأصمعي، إلا أنّ بها عددًا من الفجوات المعجمية داخل هذا الوعاء الذي تصب فيه الكلمات، ونجد اختلافًا في تقسيم العرب للكلمات حسب المعاني قديمًا وبين تصنيفها بعد وضع النَّظرية، ولا شكَّ أنَّ دراسة اللُّغة والاهتمام بها هو خدمةٌ لها، ووسيلةٌ من وسائل حفظها والتَّفكُّر في عجيب إتقانها وفصاحتها وتنوعاتها المختلفة والفريدة.

ومن هنا أتت الرَّغبة في دراسة «أدوات الحرب في باب الحماسة من حماسة أبي تمام» وهي الألفاظ التي أُعتمِدَ عليها في إنشاء الشِّعر في الباب نفسه بعد استبعاد الكلمات العامة التي لا تُشكّل خصوصية في الباب، والدراسة جاءت وَفْقًا لنظرية الحقول الدلالية، التي تُحدِّد دلالة الألفاظ وتُظهِر علاقات الكلمات بعضها ببعض، وتضعها ضمن مجموعاتٍ مُرتبةٍ ومُصنَّفةٍ ترتيبًا مُحكمًا ودقيقًا.

وتهدف الدِّراسة إلى:

١. بيان معاني المفردات بتفسير دلالاتها والتفريق بينها، وتحديد أصول الألفاظ الواردة في الدراسة من المعاجم العربية.

٢. إبراز الملامح الدلالية للألفاظ في كل مجموعة، وإيجاد نقاط الالتقاء بين الألفاظ في الحقل الواحد ضمن نظرية الحقول الدلالية.

٣. دراسة أثر الملامح المصاحبة للألفاظ في نوع العلاقة بين ألفاظ الحقل الواحد.

٤. بيان علاقة سمات اللفظ وظروفه في تحديد معاني الألفاظ.

وقد اتَّبعتِ الدِّراسةُ المنهج التحليليَّ الاستقرائي، فالبحث يسعى إلى إبراز العلاقات الدلاليَّة للألفاظ، والأخذ بأُسس النَّظرية التَّحليليَّة للكلمة، والدِّراسةُ تطبيقيةٌ في البحث.

أدوات الحرب: دوال السلاح

إن من سنن الله في خلقه أن جعل فيهم غرائز تتحكم في حياتهم، وتشكل سلوكهم بما يحقق لهم رغبتهم في العيش والاستمرار، ومن ذلك أن العرب كانوا يحرصون على امتلاك الأسلحة بمختلف أنواعها كل بحسب ما تقتضيه حاجاتهم، ونجدهم في غالب أوقاتهم يذكرون أسلحتهم في مجالسهم، في أحاديثهم وأشعارهم سواء في وقت سلوتهم، أو وقت حربهم؛ لإثارة الحماسة وتشجيع الجيوش وشحذ الهمم، ويصفون طعنهم بها وقتلهم لخصومهم، ويستخدمونها في صيدهم وقت لهوهم، أو حاجتهم إلى تأمين زادهم، فيصفون أيضا صيدهم لفرائسهم وبراعتهم في ذلك.

ولأن لكل نوع من هذه الأسلحة مكانته، وحاجته، واختصاصه بالغرض الذي استخدم من أجله، كان من الضروري الوقوف على دلالات كل نوع منها حسب سياقه الذي نقله أبو تمام في الديوان عن الشعراء المختلفين، كل في زمانه.

المبحث الأول: الرمح – القناة - السنان - النصل

الرُّمْحُ:

اسم مفرد، وهو مصدر للفعل: (رَمَحَ)، وهو من السلاح معروف، واحد الرِّماحِ، وجمعه على القلة: أَرْماح؛ ورجل رَمَّاحٌ: صانع للرِّماح متخذ لها وحِرْفته الرِّماحة. ورجل رامِحٌ ورَمَّاح: ذو رُمْح، ورَمَحه يَرْمَحُه رَمْحاً: طعنه بالرُّمْح، فهو بصيغة اسم الفاعل: رامِح.

وقول طُفَيْلٍ الغَنَوِيّ: بِرَمَّاحةٍ تَنْفِي التُّراب، كأَنها هِراقَةُ عَقٍّ، من شعَيْبي مُعَجّلِ، قيل في تفسيره: رَمَّاحة طَعْنة بالرُّمْح، ... وذو الرُّمْحَين، قال ابن سيده: أَحسبه جَدَّ عُمَرَ ابن أَبي ربيعة؛ قال القُرَشِيُّون: سمي بذلك لأَنه قاتَلَ برمحين، وقيل: سمي بذلك لطول رمحه[1].

وقد وردت مادة (رمح) بأشكالها المختلفة في باب الحماسة من الديوان مفردة، وبجمع الكثرة (رماح)، وعلى وزن جمع القلة (أرماح).

وفيما يأتي رصد لورود الكلمات في الديوان، وبيان دلالتها في الاستخدام:

«فقالوا لنا ثنتان لابد منهما صدور رماح أُشرعت أو سلاسل»

بالرغم من أن المعنى المقصود من كلمة (رماح) كان حقيقيا إلا أن استخدامها في هذا السياق أتى للدلالة على التخيير بين أمرين واقعين كليهما على التعاقب فإذا وقع أولهما فلا مفر من الوقوع في الآخر، فإما المواجهة والمقاتلة، وهذا واضح في قوله: «صدور رماح أشرعت» حيث دلت على

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢: ٤٥٢.

الدفع والامتناع، فصدورهم مشرعة هيئت للطعن، وخص الصدر لأن المقاتلة به تقع ، أو الاستسلام للأسر بقوله: أو سلاسل[١].

وفي البيت:

«فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وأمامي»

والبيت الآخر:

«ظللت كأني للرماح دريئة أقاتل عن أبناء جرم وفرّت»

أتى استخدام كلمة (رماح) حقيقيا، ودلالته في البيتين تتضح من سياقهما؛ فإن فسرنا معنى (دريئة) من الدرء وهو المنع، أو الدريئة بمعنى: الحلقة التي توضع للتدريب على الرمي والطعن، فإنه يجوز حمل المعنى في البيتين عليهما جميعا، فيتحقق بهما القصد: وهو جعل الشاعرين نفسيهما عرضة للرماح[٢].

«الرمح لا أملأ كفي به واللِّبد لا أتبع تزواله»

الرمح هنا مقصود به معناه الحقيقي لكن الشطر في سياقه يرمي إلى دلالة أخرى عميقة، وهي أنه يجيد استخدام جميع الأسلحة فلا يمتلئ كفه بالرمح فقط، وإنما في كفه مكان لكل سلاح، وربما كان يرمي إلى وصف براعته في استخدام الرمح حيث يمسكه بأطراف أصابعه ولا يملأ كفه به[٣].

«علام تقول الرمح يُثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرّتِ»

---

(١) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٣٧.

(٢) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ١٠٢.

(٣) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٣٧.

المعنى حقيقي ودلالة البيت أنه بأي حجة أحمل السلاح إذا لم أقاتل عند كر الخيل أي إنما أتكلف حمل الرمح للطعن به[١].

«فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرّتِ»

المعنى حقيقي ودلالة البيت أنه لو كان قومه حاربوا ببسالة؛ أنطقته رماحهم للمدح مما يراه منهم، لكنهم أجروا لسانه بتلك الرماح، بمعنى: قطعوه، فلم يستطع مدحهم.

وهذا المعنى يبطن ذمه لصنيعهم في الحرب، حيث يتبين من استخدامه الفعلين للرماح أن التقصير كان منهم لا منها[٢].

«ولمّا تدانَوا بالرماح تضلّعت صدور القنا منهم وعلّت نهالها»

الرماح هنا بمعناها الحقيقي، وفي البيت استعارة للدلالة على ارتواء صدور القنا بالدم عندما تقاربت الرماح حتى انتفخت الأضلاع من شدة الارتواء[٣].

«فَولّوا وأطراف الرماح عَلَيْهِم قوادر مربوعاتها وطوالها»

أتت كلمة الرماح بمعناها الحقيقي؛ لكنه استخدمها للتعبير عن تمكنهم من عدوهم وقدرتهم على هزمهم باختلاف بنياتهم حتى ولوا جميعهم[٤].

«أتشحذُ أرماحًا بأيدي عدوِّنا وتتركُ أرماحًا بهنَّ نُكابِد»

المعنى هنا مجازي فكأنه يقول: تعين رجال العدو وتشحذهم، وتترك رجالنا الذين نصد بهم عدونا[٥].

---

(١) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٤٤.

(٢) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ١٢١.

(٣) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ١٢٨.

(٤) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١ : ٤٩.

(٥) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ١٦٨.

وأرى في استخدامه لجمع القلة هنا مسوغا حين استخدمه لأعدائه؛ ربما يقصد به التقليل من شأنهم، وفي استخدامه لقومه إشارة إلى أن قلة منهم بحاجة إلى شحذ همتهم للقتال والدفاع، وقد يكون بالفعل عددهم وعدد عدوهم في قلة؛ فهو يعتب على المقصود بالبيت لمساهمته في شحذ همم العدو مقابل قومه.

«مَنَعْنا حِمانا واستباحت رِماحُنا حمى كلّ حيٍّ مستجير مراتعه»

استخدام الرماح هنا استخدام مجازي يشير فيه إلى أنهم أصحاب القوة والسطوة، واستخدم جمع الكثرة ليدعم تلك الدلالة.

«دعاني ابن مرهوبٍ على شنْءِ بينَنا فقلتُ لهُ إنّ الرماحَ مصايد»

المقصود من الشطر الثاني هنا أن الرماح حبائل للرجال في الحرب وفي تعبيره تهوين لخوف المستغيث به من الموت في الحرب حيث لن يلحقه عار من ذلك، وكانت استجابته تلك في ظل وجود بغض وكراهة بينهما(١).

«ولو أن رمحي لم يخُني انكساره جعلت له من صالح القوم توأما»

عزا فوات فرصته في قتل خصمه إلى خيانة رمحه له، وإلا كان قتله وقتل معه من صالح القوم آخرا ممن كانوا يتباهون بقتل الملوك والرؤساء(٢).

«شككنا بالرماح وهن زُور صِماخَي كبشهم حتى استدارا»

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة: ٣٩٩.

(٢) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٤٠١.

يقصد بذلك اصطفافهم متأهبين للطعن بأرماح منحرفة نحو عدوهم فأصابوا صماخه حتى أخذه دوار في رأسه، وأردوه قتيلا[١].

«للهِ تيمٌ أي رُمحِ طِراد لاقى الحِمامَ به ونَصل جِلاد»

لم يقصد امتداح الرمح وإنما قصد امتداح تيم فكأنه هو الرمح في سرعته ونصل السيف في مجالدته، وفي امتداحه لخصمه امتداح لنفسه عندما قضى عليه وهو بهذه الصفات من البسالة والقوة والاستعداد للموت[٢].

«لعمري لرئمٌ عند باب ابن مُحرِز أغَنُّ عليه اليارَقان مشوفُ
أحبَّ إلينا من بيوتٍ عمادُها سيوفٌ وأرماحٌ لهن حفيفُ»

يُعرّض بقوم فضلوا النساء واللهو واللعب، وتوانوا عن لقاء الحرب وقوله عمادها سيوف يعني أنهم كانوا يستظلون إذا وجدوا حر الهجير بإقامة السيوف والرماح على الأرض ووضع ثوب يقيهم من الشمس[٣]، والجمع هنا على وزن جمع القلة.

«رماحِهُمُ في الطّولِ مثلُ رماحِنا وهم مثلَنا قَدَّ السيورِ من الجِلد»

المعنى هنا مجازي فقد عبر عن تماثلهم في النسب والقرامة بتساوي طول الرماح، وأنهم كالسير المقدود بنفس القدْر من جلدة واحدة[٤].

«ووقعَ لسانٍ كحد السنان ورُمحا طويلَ القناةِ عسُولا»

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، ١: ٢٢١.

(٢) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٤٧٧.

(٣) انظر: شرح ديوان الحماسة، ١: ٢٩٣

(٤) انظر: شرح ديوان الحماسة، ١: ٣٠٩.

في الشطر الأول مجاز عن الحجج الدامغة التي تصدر من لسان حده كحد السنان، والشطر الثاني كناية عن استعداده برمح طويل شديد الاهتزاز[١].

«تُعِدْ فيكمُ جَزْرَ الجزُورِ رماحُنا ويُمسِكْن بالأكباد منكسرات»

كناية عن سرعة الرماح في القضاء عليهم.

«لما التقى الجمعانِ واختلفَ القَنا والخيلُ في نقع العَجاج أُزُوم

في النقعِ ساهِمَةُ الوجوهِ عوابسٌ وبهنَّ من وقْعِ الرّماحِ كُلُوم»

المعنى فيها حقيقي، وهو وصف لجو المعركة من التقاء الصفوف وتشابك الرماح وإيقاعها بالأجساد.

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، ١: ٣١٢.

القَناةُ:

اسم مفرد مؤنث، وتعني الرمح، والجمع يأتي على قنوات، وقَنا، وقُنِيٌّ على فُعُولٍ، وأَقْناه مثل: جبل وأَجبال، وكذلك القَناة التي تُحْفَر، وحكى كراع في جمع القَناة الرمح قَنَياتٌ، وأُراه على المعاقبة طَلَبَ الخِفَّة. ورجل قَنَّاء ومُقَنٍّ أَي صاحبُ قَنًا؛ وأَنشد: عَضَّ الثِّقافِ خُرُصَ المُقَنِّي.

وقيل: كل عصا مستوية فهي قَناة، وقيل: كل عصا مُستوية أَو مُعْوَجَّة فهي قناة ... التهذيب: أَبو بكر وكلُّ خشبة عند العرب قَناةٌ وعَصا، والرُّمْح عَصًا؛ وأَنشد قول الأسود بن يعفر:

«وقالوا: شريسٌ، قلتُ: يَكْفِي شَرِيسَكُمْ سِنانٌ، كنِبْراسِ النِّهامِي، مُفَتَّقُ
نَمَتْه العصا، ثم اسْتَمَرَّ كأَنَّه شِهابٌ بِكَفَّيْ قابِسٍ يَتَحَرَّقُ»

نَمَتْه: رفعته، يعني السِّنانَ، والنِّهامِي في قول ابن الأعرابي : الراهب وقال الأصمعي: هو النجَّار. الليث: القَناة أَلِفها واو والجمع قَنَوات وقَنا. قال أَبو منصور: القناة من الرماح ما كان أَجْوف كالقَصبة، ولذلك قيل للكظائم التي تجري تحتَ الأَرض قَنوات، واحدتها قَناة، ويقالُ لمجارِي مائها القَصَبُ تَشْبِيهًا بالقَصَبِ الأجْوفِ ويقال: هي قَناة وقَنًا، ثم قُنِيٌّ جمع الجمع[1].

وقد وردت في باب الحماسة على هذا الجمع (قنا)، والمفرد (قناة)، والجمع بصيغة المذكر السالم (قُنين)، وفيما يأتي رصد لورود الكلمات في الديوان، وبيان دلالتها في الاستخدام:

«القائلين إذا هم بالقنا خرجوا من غمرة الموت في حوماتها: عودوا»

«الحومات: جمع حومةٍ، وهي في الأصل أكثر موضعٍ في البحر ماء، وكذلك في الحوض، فاستعارها لشدة الحرب. وإنما يصف حرصهم على

(١)انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٥: ٢٠٣-٢٠٤.

القتال، وأنه لا يلحقهم السآمة فيه والملال، فمتى خرجوا من غمرة منيةٍ، وحومة كريهة، مطاردين الأعداء، دعتهم أنفسهم إلى أن يتنادوا: عودوا، فلا شفاء نلنا، ولا بواء من الأعداء أصبنا. وقوله بالقنا خرجوا أي خرجوا ومعهم القنا»[١].

«يدعون سوّارًا إذا احمرّ القَنا ولكلّ يوم كريهةٍ سوّارُ»

في قوله (احمرّ القنا) كناية عن شدة الحرب واحتماء وطيسها، ويفخر بنفسه فيقول أنه حاضر لكل يوم حرب.

«فما ليّنت منا قناةً صليبةً ولا ذلّلتنا للذي ليس تجمُلُ»

فيها مثلٌ فتضرب العرب بالقناة الصلبة مثالا على القوة وأن القوم أعزاء أشداء، وفي المقابل يضربون المثل بالقناة الخوارة لمن كانوا ضعافا[٢].

«ومن ربطَ الجحاش فإن فينا قنًا سُلبا وأفراسا حسانا»

القنا السلب: الطوال، أو مأخوذة من السلب تسلب النفوس، وفيها تعظيم لقومه مقابل غيرهم ممن يقتنون الحمير لأجل المال؛ فإن قومه لديهم الرماح والخيول القوية التي يدفعون بها عدوهم ويذودون فيها عن حياضهم[٣].

«قومي بنو الحربِ العَوانِ بجَمْعِهم والمشرفيّةُ والقَنَا إشعالُها
ما زال معروفًا لمُرّةَ في الوغى علٌّ القنا وعليهمُ إنهالُها»

(١) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٤٧٩.

(٢) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٨٩.

(٣) انظر: شرح ديوان الحماسة، ١: ١٢٩.

الاستخدام لكلمة قنا مرتان في البيت استخدام حقيقي، ويعني بالعلّ والإنهال: الشرب ثانية بعد أن نهل في المرة الأولى من دمائهم(١).

«ولنا قناةٌ من رُدينةَ صدْقةٌ زوراء حاملُها كذلك أَزورَُ»

الاستخدام لها حقيقي، وهي مصنوعة بواسطة امرأة معروفة بصناعة الرماح اسمها ردينة، والقناة هذه صلبةٌ، وقوله زوراء بمعنى أنها مائلة وحاملها أيضا مائل للطعن، وهي كناية عن قوة امتناعهم فلا يتقومون لمن يريد تقويمهم(٢).

«ومُناحِ نازلةٍ كفيْتُ وفارسٍ نهَلَتْ قناتي من مطاهُ وعلَّتِ»

تقدم الحدث عن النهل والعلّ، وهنا كناية عن الارتواء والامتلاء.

«فإنك لو رأيتِ ولن تريهِ أكُفَّ القومِ تَخرُقُ بالقُنينا»

«وقوله: تخرق بالقنينا، له وجهان: أحدهما أن يكون من الخرق: ضد الرفق، كأن الأكف كانت تخرق في الطعن ولا ترفق، لشدة الأمر؛ وهذا حسنٌ. والثاني: أن يكون من الخرق، كأنها تشقق بالطعن ملتئم الأحوال ومتواصلها وتمزقها ... والقنين: جمعٌ سالم، وهو نادر»(٣).

«فما كلّت الأيدي ولا انأطر القنا ولا عثَرَت منا الجدود العواثِر»

كناية عن تناصرهم، وعدم خيانة أسلحتهم لهم فلا تتثنى.

«ولمّا تدانَوا بالرماح تضلّعت صدور القنا منهم وعلّت نهالها»

(١) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ١٥٠.

(٢) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ١٧٧.

(٣) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٤٠٩.

سبق ذكره في مادة: رمح، والبيت فيه استعارة للدلالة على ارتواء صدور القنا بالدم عندما تقاربت الرماح حتى انتفخت الأضلاع من شدة الارتواء.

«ولكنما يجري امرؤا تكلِم استَه قنا قومه إمّا الرماح هوينا»

سبق ذكره في مادة: رمح، كناية عن جبن المقصود وتوليه عن القتال فتهوي قنا القوم عليه.

«ووقعَ لسانٍ كحد السنان ورُمحا طويلَ القناةِ عسُولا»

سبق ذكره في مادة: رمح، هنا كناية عن اهتزاز الرمح وجاهزيته للقتال.

«لما التقى الجمعانِ واختلفَ القَنا والخيلُ في نقع العَجاج أُزُوم

في النقعِ ساهِمَةُ الوجوهِ عوابسٌ وبهنَّ من وقْعِ الرّماحِ كُلُوم»

سبق ذكره في مادة: رمح، وصف التقاء الصفوف وتشابك الرماح وإيقاعها بالأجساد.

السنان:

والسنان: اسم مفرد، وهو سنان الرمح، وجمعه أسِنّة. وسنان الرمح حديدته لصقالتها وملاستها. وسنَنَ الرمح إذا ركَّب فيه السِّنان. وأَسَنْتُ الرمحَ: جعلت له سِناناً، وهو رمح مُسَنّ. وسَنَنْتُ السنان أَسُنه سنّا، فهو مسنون إذا أحددْته على المِسن، وسننت فلانا بالرمح إذا طعنتُه به. وسَنَّه يسنه سَنّا: طَعَنَهُ بالسنان. وسَنَّنَ إليه الرمح تسنينا: وَجَّهه إليه[1].

وكلمة (سنان) فقد أتت مفردة، وبالجمع منها على (أسنة)، وفيما يأتي رصد لورود الكلمات في الديوان، وبيان دلالتها في الاستخدام:

«عشية نازلتُ الفوارسَ عندَه وزلّ سناني عن شُريح بن مسهر
وأُقسم لولا درعه لتركته عليه عوافٍ من ضباعٍ وأنسُر»

الاستخدام لكلمة سنان حقيقي، ويقصد أنه لم يمنعه من قتل شريح إلا ارتداؤه للدرع.

«وغادرنَ نضلة في معْركٍ يجُرّ الأسنة كالمحتطبْ»

الاستخدام لكلمة (أسنة) حقيقي، لكن الواضح في البيت وجود صورة تشبيهية حيث تكسرت الأسنة في جسده فصار يجرها كما يجر الحطب.

«وإني وإنْ عُمّرتُ أعلمُ أنّني سألقى سنانَ الموتِ يبرُقُ أصلَعا»

استخدم لفظ السنان هنا في صورة تشبيه للدلالة على يقينه أن الموت لا بد منه ولا مهرب عنه وإنه ولو عمر دهرا لا بد أن يلقى سنانه اللامع المنكشف[2]، فلفظ سنان هنا مجازي.

«وقافية مثل حد السنا نِ تبقى ويذهب من قالها»

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٣ : ٢٢٣.

(٢) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ١٩١.

شبه القافية بحدد السنان لاستقامته وبقاء تأثيره حتى لو فقد صاحبه.

«ساقيته كأس الــردى بأســنّةٍ ذُلُقٍ مؤَلّلّــةَ الشِّــفارِ حِــدادِ»

«أصل المساقاة تكون بين اثنين وأراد بها هنــا المناولــة والإعطــاء وكأس الردى مجاز عن الموت وقوله بأسنة أراد بسنانين وإنما جمع جريــا على عادتهم من إيقاع الجمع على المثنى»[1].

«أَلَسْت أرد القرن يركب ردعه وَفِيه سِنَان ذُو غرارين نابس»

بمعنى أنه يتمكن من خصمه عند امتناعه منه ويعالجــه بســنان لــه حدان.

«ووقعَ لســانٍ كحــد الســنان ورُمحا طويلَ القنــاةِ عسُــولا»

ذُكر في مادة: رمح، والشطر الأول مجاز عن الحجج الدامغــة التــي تصدر من لسان حده كحد السنان.

«إذ تتقي بســراة آل مقــاعسٍ حذر الأسنة والسيوف تمــيمُ»

الاستخدام لها حقيقي، ومعناه أن تميما تتقي بسراة حذرا من الأســنة والسيوف.

(١) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٢٦٧.

النَّصْلُ:

اسم مفرد، ويعني: نصل السَّهْم ونَصْل السيف والسِّكِّين والرمح ... والنَّصْلُ حديدةُ السَّهْم والرمح، وهو حديدة السيفِ ما لم يكن لها مَقْبَض [مَقْبِض]؛ حكاها ابن جني قال: فإذا كان لها مَقْبَض [مَقْبِض] فهو سَيْف؛ ولذلك أضاف الشاعر النَّصْل إلى السَّيفِ فقال:

«قَدْ عَلِمَتْ جَارِيَةٌ عُطْبُول أَنِّي بنَصْل السَّيْفِ خَنْشَلِيل»

ونَصْل السَّيْفِ: حَدِيدُه. وهو كل حَدِيدَةٍ من حَدَائِدِ السِّهام، والجمع للقلة أَنصُل وللكثرة نُصُول ونِصال. والنَّصْلانِ: النَّصْل والزُّجُّ؛ قال أعشى باهلة:

«عِشْنا بِذَلِكَ دَهْراً ثُمَّ فارَقَنا كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْن ينكَسِر»

وقد سُمي الزُّجُّ وحده نَصْلا[1].

وفي النّصْل قَرْنته وهي طرفه وقَرْنه، وفيه ظُبَتُه وهي طرفه وبادرته ... والغرارن الشفرتان منه والغرار أيضا المثال الذي يضرب عليه النصل ليصلح[2].

ومادة (نصل) وردت مفردة، وجمعًا على (نصال)، وفيما يأتي رصد لورود الكلمات في الديوان، وبيان دلالتها في الاستخدام:

«وأسيافُنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ بها من قِراعِ الدّارعين فُلُول

مُعوَّدَةً أنْ لا تُسَل نصالها فتُغمد حتى يُستباح قبيل»

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١١: ٦٦٢-٦٦٣.

(٢) انظر: ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصص، ٦: ٣٩، تح: خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار إحياء التراث، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

المعنى حقيقي وفيه إشارة إلى استمرارهم بالحرب حتى الانتصار، فنصال سيوفهم لا تغمد إلا بعد قتل قبيلة كاملة.

«بِكُرْه سراتنا يا آل عمرٍو نغاديكم بمرهفةٍ صِقال
نعديهنّ يومَ الرّوع عنكم وإن كانت مثلمة النصال»

المعنى فيها حقيقي وهي تعود على المرهفات أي السيوف في البيت السابق لها، والواضح من قوله: (مثلمة النصال) كناية عن كثرة تقارع السيوف في الحرب(١).

«وقالوا لها لا تنكحيه فإنه لأول نصلٍ أنْ يُلاقي مجمعا»

النصل هنا بمعناه الحقيقي، لكن استخدم للإشارة إلى وجود جناية للرجل في كل حي، فسرعان ما سيموت ويتركها بسبب جناياته.

«لله تيمٌ أي رُمحِ طِراد لاقى الحِمامَ به ونَصل جِلاد»

سبق ذكره في مادة: رمح، عندما قصد امتداح سرعة تيم كالريح، ومجالدته كالنصل، ليشير إلى امتداح نفسه عندما قضى على خصم بهذه القوة.

«وفارجا نبعة وملء جفير من نصال تخالها وَرَقا»

«المراد بالورق ورق الحواء وهو يشبه النصال عرضا والمعنى وأعددت أيضا قوسا جيدا ونصالا عريضة كورق الحواء»(٢) وربما «أراد بها نبالًا ركبت فيها نصالٌ بيض تتلألأ فتحسب فضة»(٣).

(١) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٦٢.
(٢) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٣١٩.
(٣) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٥٤٣.

ومما يجمع الحديث عنها جميعها ما جاء في المخصص:

في الرُّمْح مَتْنه وهو وسطه وفيه سِنَانه وهو حَدُّه وسَـنَنْت السِّـنان حَدَدْته، والخُرْص السّنان وجمعه خِرْصانُ وقيل هو الرُّمح نفسه، وقيل هـو رُمْح قصير يُتَّخذ من خشب منحوت، وهو السِّنان فِي الأَصْـل ثـمَّ صَـيَّروه للقَنَاة لـمّا كَثُر استِعمالُهم لَهُ ... ويقال للسِّنان النَّصْل، و أنْصَلتُ الرُّمْح إِذا نَزَعت نَصْله ونَصَّلْته ركَّبْت عَلَيْهِ النَّصْل، وفي السِّنان ذَلْقه وقُرْنَتُـه وهـو حدّه، وفي الرُّمْح الزُّجُّ وهي الحديدة التي في أسفله ... وربمـا سـمي زُجُّ الرمح نَصْلا، ويقال أيضا للنَّصْل والزُّجُ زُجَّانِ [1].

(١) جدول بياني لنقاط الالتقاء الدلالي بين الألفاظ:

الألفاظ / الملامح	رمح	قناة	سنان	نصل
الطول	+	+		+
القصر	+	+	+	+
العرض	+	+	+	*
التجويف		+		
الغرار	*	*	*	*
المقبض				*
الزج	*	*		
الحدة	+	+	+	+
السرعة	+	+	+	+

(١) انظر: ابن سيدة، المخصص، ٦: ٢١.

الاستقامة	+	+	*	*
الغمد				*
الطعن	+	+	+	+
الصلابة	+	+	+	+
الثلم	+	+	+	+
القطع	+	+	+	+
الحماية	+	+	+	+
الركز	+	+	+	+
الميلان	+	+		
الاهتزاز	+	+		
الانكسار	+	+	+	+

(+) الملمح مثبت للفظ، (−) الملمح منفي عن اللفظ، ( ) الملمح منعدم عن اللفظ (*) مثبت في أنواع منه

(٢) جدول بياني لأنواع العلاقات بين الألفاظ:

	رمح	قنا	سنان	نصل
رمح	=	ف ج	ج ل	ج ل
قنا	ف ج	=	ج ل	ج ل
سنان	ج ل	ج ل	=	ف ج
نصل	ج ل	ج ل	ف ج	=

=: اللفظة ذاتها، ف: ترادف، ج ل: جزء من كل، فج: ترادف جزئي

القراءة التحليلية لما سبق:

يتضح مما سبق أن جميع ألفاظ هذا الحقل متداولة في الحرب ووردت في الشعر العربي بدلالتها المختلفة والمتقاربة جدا.

ويُظهر الجدول الأول الملامح التي ممكن أن تتسم بها تلك الألفاظ، مما ورد في المعاجم وفي الأبيات الشعرية من أوصاف للرمح والقناة والسنان والنصل، وفيما يأتي تفصيل لها:

١- الطول: نجد الطول صفة مثبتة في الرمح والقناة، وفي النصل عندما يكون سيفا، بينما السنان لم يرد ما يصفه بالطول، فاختلف عن النصل في هذه السمة.

٢- القصر: صفة مثبتة للألفاظ كلها، فالرمح والقناة عند قصرهما يكونان حربة، والنصل عند قصره يكون مركبا في الرمح والقناة والحربة والسهم، والسنان لم يرد ذكره إلا قصيرا وهو سنان الرمح والقناة أو الحربة.

٣- العرض: مثبت في الرمح والقناة عندما تكون عصاهما عريضة وغليظة، والسنان عندما يكون عريضا فهو أكثر ما يكون في الحربة، والنصل يأتي عريضا إن كان مركبا في الحربة.

٤- التجويف، أثبت في عصا القناة فقد ورد في المعاجم أنها كالأنبوب، ولم يرد ما يثبت ذلك في الألفاظ الأخرى.

٥- الغرارن: يكون في الألفاظ كلها بحسب نوعها، وصناعتها، وهما حدان يوجدان في النصل أو السنان، وعليه فإنهما يثبتان في الرمح والقناة إن كان للسنان أو النصل المركبان عليهما حدان.

٦- مقبض: يوجد في النصل إذا كان سيفا، ولم يرد ما يثبته لغيره من ألفاظ الحقل، فالرمح والقناة لهما العصا، والسنان يركب عليهما، ولا تسمى حديدة السيف سنانا.

٧- الزُّج: هو نصل آخر يأتي في أسفل بعض أنواع الرمح أو القناة يُركزان بواسطته على الأرض أو يستخدم للطعن والقتال، ولذا فلا يثبت للنصل أو السنان وجود زج فيهما.

٨- الحدّة: تثبت للسنان والنصل وعليه فإنها مثبتة للرمح والقناة.

٩- السرعة: مثبتة للألفاظ كلها، من سرعة للانطلاق والاندفاع، وسرعة في القطع والجرح.

١٠- الاستقامة: مثبتة للرمح والقناة، فهي تكفل لهما أن يكون اتجاههما في الرمي مستقيما، وأما السنان والنصل ففي أنواع منها يكونان مستقيمين، وقد يكونان معقوفين أو معوجين.

١١- الغمد: يكون للسيف؛ لذا فإنه يثبت في النصل إذا كان سيفا، ولم يرد ما يثبته في غيره من ألفاظ الحقل.

١٢- الطعن: مثبت للألفاظ كلها.

١٣- الصلابة: مثبتة للألفاظ كلها.

١٤- الثلم: مثبت للألفاظ كلها، وهو إن كان مما يُظن أنه عيب؛ إلا أن فيه إشارة قوية على كثرة استخدام الآلة المثلمة في الحرب وتقارعها مع غيرها من السلاح.

١٥- القطع: مثبت للألفاظ كلها.

١٦- الحماية: مثبت للألفاظ كلها، وهذا الملمح من المنع والدفع، لا الاحتماء كما للدرع أو الترس.

١٧- الركز: يثبت في الألفاظ جميعها، فعصا الرمح أو القناة تركزان على الأرض، سواء كان فيهما زُج أم لم يكن، وكذلك النصل والسنان يُركزان على الأرض.

١٨- الميلان: مثبت للرمح والقناة، وهو كناية عن جاهزيتها وميلها للطعن، ويطلق عليهما وصف: زوراء.

١٩- الاهتزاز: يثبت في الرمح والقناة، ولم يرد ما يثبته في النصل والسنان.

٢٠- الانكسار: يحدث للرمح أو القناة أن تكسر عصاهما، أو أن يسقط سنانهما أو نصلهما، ويحدث للنصل أو السنان أن يتعاظم ثلمهما فينكسران، وهذا ما يشار إليه – في بعض الأبيات- بخيانة السلاح.

كما يُظهر الجدول الآخر العلاقات الدلالية بين ألفاظ الحقل؛ فقد وقع ترادف جزئي بين (رمح) و(قناة)، وبين (سنان) و(نصل).

ووقعت علاقة الجزء من الكل بين كل من (سنان) و(رمح)، وبين (سنان) و(قنا)، وبين (نصل) و (رمح)، وكذلك بين (نصل) و(قنا).

وقد اختفت بين الدوال علاقة الاشتمال والتنافر والتضاد.

صورة توضيحية(١)

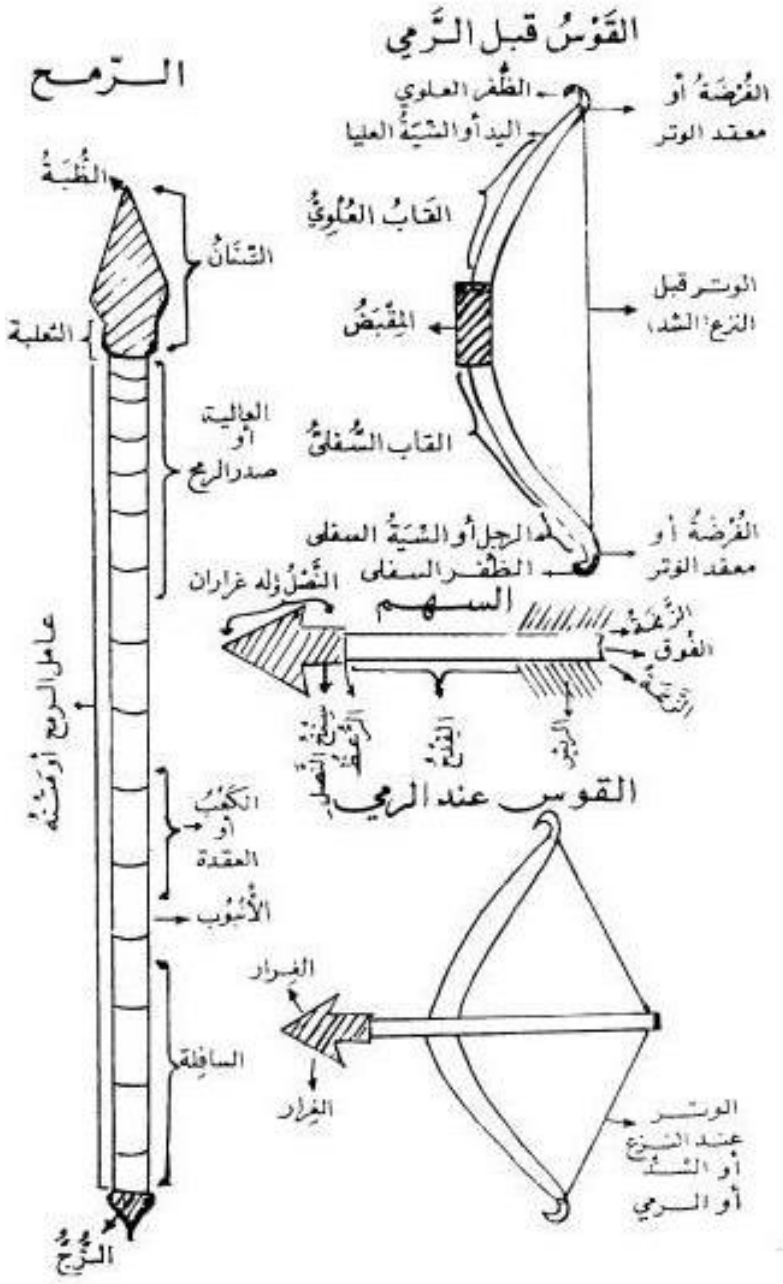

(١) الباشا، عبدالرحمن رأفت، الصيد عند العرب: ٨٦، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٩٧٤م.

المبحث الثاني: السيف - الحسام - الأبيض - العضب

السيف:

«السيف: الذي يضرب به معروف، والجمع: أَسْيَافٌ وسُيُوفٌ وأَسْيُفٌ؛ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ...واستاف القوم وتسايفوا: تضاربوا بالسيوف. وقال ابن جني: استافوا تناولوا السيوف كقولك امتشنوا سيوفهم وامتخطوها»[١]،«ورجل سائف: أي ذو سيف، وسيّاف: أي صاحب سيف. والمسايفة: المجالدة، وتسايفوا: تضاربوا بالسيف»[٢].

وقد وردت مادة (سيف) بأشكالها المختلفة في باب الحماسة من الديوان مفردة، ومثناة، ووردت بجمع الكثرة (سيوف)، وعلى وزن جمع القلة (أسياف).

وفيما يأتي رصد لورود الكلمات في الديوان، وبيان دلالتها في الاستخدام:

«لهم صدر سيفي يوم بطحاء سَحْبَل ولي منه ما ضمّت عليه الأنامِلُ»

بمعنى أنه يمسك مقبض سيفه بيده، ويجعل صدر السيف عاملا فيهم ضربا وطعنا، والسيف هنا ورد بمعناه الحقيقي.

«نقاسِمُهم أسيافَنا شرَّ قسمةٍ ففينا غواشيها وفيهم صدورها»

ورد المعنى هنا حقيقيًا وأراد الشاعر قسمة الشر للأعداء ففي الشطر الثاني يتضح مقصده عندما يبين أن غاشية السيف أي مقبضه وقيل غمده في يديهم هم، أما صدور السيوف ونصالها فلأعدائهم[٣].

---

(١) انظر: ابن منظور ، لسان العرب، ٩: ١٦٦.

(٢) الرازي، مختار الصحاح: ١٣٦.

(٣) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ١١.

«سأغسِلِ عني العارَ بالسيف جالبــا علي قضاءَ اللهِ ما كان جالبــا»

المعنى لكلمة السيف هنا حقيقي، ويقصد الشاعر أنه سيمحو ما يلــزم به العار والعيب باستعمال السيف ويجري عليه القضاء كما يجلبه الله حتــى وإن كان موته.

«ولم يستشرْ في أمرِه غيرَ نفسِه ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا»

المعنى لكلمة السيف في البيت حقيقي، والقصد فــي البيــت واضــح فالشاعر يذكر أنه مستبد برأيه وفعله فلا يستشير أحدًا ولا يرضــى بغيــر السيف فصلا، والقائم هنا: المقبض.

«ونركب الكُره أحيانًا فيُفرِجُــه عنّا الحِفاظُ وأسيافٌ تواتينــا»

بمعنى أنهم يقعون في المكروه فيقيهم منه حفــاظهم علــى أحســابهم ومحارمهم، وصبرهم على الشدائد، ثم يأتي الشاعر بلفظ أسياف هنا للدلالة على موافقة أسيافهم لهم وطواعيتها، وقد يكون المعنى هنا مجازيا فكــأنهم السيوف في نفاذها.

«وأسيافُنا في كلّ غربٍ ومشــرق بها من قِراعِ الدارعين فُلــول»

المعنى هنا حقيقي، ففي مشــارق الأرض ومغاربهــا تجــد أســيافهم تضارب الأعداء حتى أنها تكسرت وتفللت من مقارعة أصــحاب الــدروع، وذكر الشاعر الدرع ليبين شدتهم في الحرب فالعدو قد احترز واحتمى بدرعه منهم، وكان في أتم استعداده.

«فلســنا كمن كــــنتم تصــيبون فنقبــل ضَــيما أو يُحكِّــمُ قاضــيا
سَلّةً ولكنَّ حُكمَ السيف فينا مُسلَّطٌ فنرضى إذا ما أصبحَ السيفُ راضيا»

ينفي الشاعر عن جماعته قبول ما يُعرّض به عليهم أنهــم إذا أرادوا نيل شيء من أعدائهم نالوه سرقة، فيحذرهم إن عدوا عليهم أو خرجوا عن

حدهم فإنهم يسلطون عليهم السيف ولا يرضون بغير حكمه عليهم، فمتى رضي رضوا[١].

«نُعرِّضُ للسيوفِ إذا التقينا وُجوهًا لا تُعرَّضُ للِّطام»

المعنى حقيقي، والشاعر يقصد به أنهم يعرّضون وجوه أعدائهم للسيوف بالرغم من أنها لا تضرب بالأيدي لعزها وشرفها، كما يمكن أن يكون القصد أنهم يعرّضون وجوههم في هذه الحرب.

«والله لو لاقيتُه خاليا لآبَ سيفانا معَ الغالب»

«أقسم بالله فيقول: والله لو لقيته منفردًا عن أشياعه لحصل سيفانا للغالب منا، وذكر السيفين والمراد جميع ما معهم من بزهما وسلاحهما، لعلو شأنهما، وجعل الفعل للسيفين على المجاز. والمعنى: لو خلوت به لقتلته أو قتلني»[٢].

«فلما التقينا بيَّن السيفُ بيننا لِسائلةٍ عنّا حفِيٍّ سؤالُها»

يقصد الشاعر أن الحرب لما قامت ميزت بين أحسن الفريقين بلاء، واتضح هذا لسائلة تلح بالسؤال عنهم، وقد يقصد بالسائلة قبيلة لا امرأة، وقد استعمل السيف هنا كناية عن بقية السلاح بدلالة أنه أعاد ذكر السيف عندما وصف تلك الحرب وأحوالهم فيها[٣]، فقال:

«ولّما عصَينا بالسيوف تقطّعت وسائلُ كانت قبلُ سِلمًا حبالُها»

(١) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٩٤.

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ١١٠.

(٣) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ١٢٨.

«يقال عصوت بالعصا وعصيت بالسيف إذا ضربت بهما يفرقون بين الفعلين بالواو والياء والمسلم المسالمة يقول لما تجالدنا بالسيوف وقتل بعضنا بعضا تقطع ما كان بيننا من القرب فصارت عداوات»(١).

«شفَيتُ النّفسَ مِن حِمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني»

يذكر الشاعر أنه شفا نفسه من قاتل أخيه، وأن سيفه شفاه أيضًا بقتل حذيفة أخو حمل قاتل أخيه، والسيف هنا بمعناه الحقيقي، لكن فيه إشارة إلى أنه يحصل به التداوي والسكون والراحة(٢).

«أنا السيف إلا أنَّ للسيف نبوةً ومثليَ لا تنبو عليك مضاربُه»

يصف الشاعر نفسه بأنه السيف في مضيه ونفاذه، ويفضل نفسه على السيف باستدراكه أن للسيف نبوة بمعنى أنه قد يرتد عن الموضع الذي يُضرب به دون أن يؤثر فيه، وأن الشاعر ماضٍ في عزيمته لا يخون عهدا ولا يحول كما قد تحول السيوف عن موضع الضرب، والمعنى للسيف هنا حقيقي.

«وإنا لتَصبَحُ أسيافُنا إذا ما اصطبَحن بيومٍ سفوك»

المعنى هنا حقيقي، يذكر الشاعر أن أسياف قومه تشرب الصبوح من دماء أعدائهم في يوم الحرب حيث يكثر سفك الدماء.

«وأنّا نضرِب الملْحَاءَ حتى تُولّي والسيوف لنا شُهُود»

السيوف هنا بمعناها الحقيقي، ويقصد الشاعر بالبيت أنهم يضربون الكتيبة التي ابيضت لكثرة سلاحها إلى أن تولي منهزمة(٣)، والسيوف شاهدة لهم بذلك لما فيها من آثار المقارعة والمجالدة.

«فلما نأتْ عنّا العشيرةُ كلُّها أنخنا فحالَفْنا السيوف على الدهر»

(١) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٤٩.
(٢) انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٦٤.
(٣) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٢١٠.

يذكر الشاعر أنه عندما ابتعدت عنهم عشيرتهم وخذلتهم فلم تنتصر لهم أناخوا بدارهم وحالفوا سيوفهم أبد الدهر، والسيوف هنا بمعناها الحقيقي.

«سَمَوا نحو قيل القومِ يبتدرُونه بأسيافِهم حتى هوى فتقطرا»

القيل هو الملك، والمعنى أنهم قصدوه بالضرب بسيوفهم حتى هوى على أحد جانبيه.

«إذا قال سيفُ اللهِ كُرّوا عليهمُ كررَنْا ولم نحفلْ بقولِ المعوِّق»

المقصود بسيف الله هنا: خالد بن الوليد، ويذكر الشاعر أنهم يمتثلون لأمره إذا قال كروا عليهم فإنهم يستجيبون له ولا يبالون بالمثبطين والمعوّقين عن الخير، وكلمة سيف هنا مجازية.

«صَبَرْنا وكان الصبرُ منا سجيّةً بأسيافنا يقْطَعْن كفّا ومِعصما»

يذكر الشاعر أن قومه صبروا في الحرب وحملوا أنفسهم على مكارهها وأن ذلك طبع فيهم وسجية، وأن أسيافهم كانت المعينة لهم في صبرهم ونضالهم فيقطعون بها كفوف أعدائهم وموضع السوار من اليد، والمعنى حقيقي.

«فحارِب فإنْ مولاك حَارَد نصرُه ففي السيف مولىً نصرُه لا يحارِد»

المعنى هنا حقيقي، ويأمر الشاعر بالمحاربة من أجل نصرة جاره، فإن لم ينصرك الموالي وأراد هنا القلة، لأن الحريد: «كل قليل في كثير»[1]، فاتخذ السيف ناصرا فإنه لا يخذل.

«أكَرُّ وأحمى للحقيقةِ منهمُ وأضرَبُ منا بالسيوف القوانسَا»

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣: ١٤٥.

المعنى هنا حقيقي، وفي الشطر الأول يصف عدوه بأنه لم يرَ أحسن كرا ولا أكثر حماية للحقيقة منهم، ثم يذكر صفات قومه بأنه لا أحسن منهم في الضرب بالسيف، والقونس: «قونس البيضة من السلاح: مقدمها، وقيل أعلاها»[١].

«تلألُؤَ مزنةٍ برقت لأخرى إذا حَجَلُوا بأسيافٍ رَدَيْنا»

يذكر الشاعر أنه عندما التقى الفريقان تلألأت الأسلحة البيضاء كسحابة برقت لأخرى، ثم يصف طريقة إقدامهم في الحرب بأن العدو إذا حجلوا -إذ كان في الحجلان تقارب الخطو كمشي المقيد ووثبته[٢]- فإنهم يمشون إليهم بأسيافهم رديانا أي بسرعة، والأسياف هنا معنى حقيقي.

«فآبُوا بالرِّماح مُكسراتٍ وأُبنا بالسيوف قد انحنينا»

يذكر الشاعر أنّ عدوهم عاد برماحهم منكسرات في أجسامهم، وأنّ قومه عادوا بسيوفهم منحنية نتيجة المقارعة والضرب في الأجساد والدروع، والسيوف هنا بمعناها الحقيقي.

«بنو جِنيّةٍ ولَدَت سيوفا صوارمَ كلُّها ذكرٌ صنيع»

وصف الشاعر أم بني زيد بأنها جنية لإتيانها بهم عن المعتاد من الإنس من شجاعة وقوة ونفاذ في الرأي، فهم صوارم كل واحد منهم ذكر الحد مصقول، وعبر عن هؤلاء الرجال بالسيوف فالكلمة هنا تعبير مجازي.

«قراعُ السيوف بالسيوف أحلّنا بأرضٍ براحٍ ذي أراكٍ وذي أثل»

«قراع السيوف على حذف مضاف أي قراع أصحاب السيوف والمقارعة مضاربة القوم في الحرب والأصل في البراح الأرض التي لا بناء

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٦: ١٨٤.

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٣٢٢.

فيها ولا عمران والأراك والأثل نوعان من الشجر ينبتان في السهل أكثر ومعناه أنهم نزلوا بأرض لا هضاب فيها ولا جبال يتمنعون بها»[1].

«إذا نفَرَتْ من بياض السيو ف قلنا لها أقدمي مقدما»

يقول الشاعر: أن خيولهم إذا كرهت لمعان السيوف في الحرب وجبنت، فإنهم يكرهونها على القتال والإقدام، وتعبيره بالقول هنا كناية عن الفعل، والسيوف هنا بمعناها الحقيقي.

«أنخنا إليهم مثلَهنَّ وزادَنا جيادُ السيوفِ والرِّماحُ الخواطرُ»

يذكر الشاعر أنهم عندما أدركوا أعداءهم أناخوا دوابهم بمثل ما للعدو من الدواب، واعتمدوا في قتالهم على السيوف والرماح المضطربة، فقد كانوا مثلهم في الدواب ولكنهم زادوا عنهم بما لديهم من سلاح، والسيوف هنا بالمعنى الحقيقي.

«عشيّةَ قطّعنا قرائنَ بيننا بأسيافنا والشاهدون بنو بدر»

يذكر الشاعر أنهم قطعوا الوصل بينهم أرحامهم بالأسياف، وكان بنو بدر عليهم شهداء، واستخدم السيف هنا استخدما حقيقيا.

«طعنّا زيادًا في اسْتِهِ وهو مُدبرٌ وثورٌ أصابتْه السيوف القواطعُ»

فيها كناية عن تولي زياد مدبرا ومهزوما بحيث أعطاهم ظهره، وأصابت السيوف القواطع ثورًا، ومعنى السيوف هنا حقيقي.

«فمِن طَلَبِ الأوتارِ ما حزَّ أنفَه قصيرٌ وخاض الموت بالسيف بيهسُ»

(١) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ١٨٣.

يُذكِّر الشاعر هنا بقصص من استضعفوا ومنها أن قصيرًا جدع أنفه من أجل الثأر، وأن بيهسا مات مطلوبا بدماء إخوته، ويحض هنا على دفع الضيم احتيالا منه حتى يدرك مباغيه من أعدائه(١).

«قد علِمِ المستأخرون في الوهل
إذا السيوف عُرِّيَت من الخَلَل
أن الفِرار لا يزيدُ في الأجل»

السيوف هنا بمعناها الحقيقي، و«الخلل: بطائن جفون السيف، والواحدة خلةٌ، والمراد بها ها هنا الجفون»(٢)، والمقصود هنا أن الفرار من الموت في وقت الوهل والفزع حين تعرى السيوف من أغمادها لن يؤخر أجل الفارين ولن يزيد في أعمارهم، وهذا الكلام يقوله عادة من بذل نفسه فسلم فالحذر لا يغني من القدر.

«أقول وسيفي في مَفارق أغلب وقد خرّ كالجذعِ السَّحوق المُشَذَّبِ
بك الوجبةُ العظمى أناخَتْ ولم تنخْ بشعبة فابعد من صريعٍ مُلَحبِ
سقاه الردى سيفٌ إذا سُلَّ أومضَتْ إليهِ ثنايا الموتِ من كل مَرْقَب»

«المفارق: جمع مفرق وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر، وأغلب: اسم رجل، والجذع: ساق النخلة، والسحوق: الطويل، والمشذب: المقطع»(٣)، والمعنى أنه قتله بوضع السيف في مفرق رأسه فخر مصروعًا كما يخر ساق النخل الطويل متقطعا، ويدل على سلبه ما عليه بعد قتله، وفي البيت الذي يليه تتمة القول، ثم عاد لذكر السيف فلم يسقه الموتَ إلا سيفُه

(١) انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٤٦٧.
(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٤٨٢.
(٣) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٢٨٦.

الذي إذا أخرجه من غمده قتل به من يريد، وأشار لذلك المعنى في الشطر الثاني حين لمعت أسنان الموت له بمجرد إخراج السيف من الغمد، وهذا دليل على لمعان السيف وبريقه وحصول الموت به، والسيف في البيتين بالمعنى الحقيقي.

«لَعَمْري لَرِئمٌ عند بابِ ابن مُحرزٍ أغَنُّ عليه اليارَقان مشوفُ
أحبَّ إلينا من بيوتٍ عمادُها سيوفٌ وأرماحٌ لهن حفيفُ»

يُعرّض بقوم فضلوا النساء واللهو واللعب، وتوانوا عن لقاء الحرب وقوله عمادها سيوف يعني أنهم كانوا يستظلون إذا وجدوا حر الهجير بإقامة السيوف والرماح على الأرض ووضع ثوب يقيهم من الشمس[1]، والاستخدام هنا حقيقي لكنه يرمي إلى معنى آخر سيرد إيضاحه في تحليل الأبيات.

«وموقفٍ مثلَ حدِّ السيف قُمت به أحمي الذِّمارَ وترميني به الحَدَق»

يصف الشاعر موقفا عظيما وعصيبا مر به، شبهه بحد السيف ليبين شدته وصعوبته، فتجلت فيه حمايته ودفاعه وحفاظه على ما ينبغي منه الحفاظ عليه؛ مما لفت الأنظار له تعجبا من ثباته في مثل هذا الموقف، والمعنى للسيف هنا حقيقي.

«خليليَّ عُوجا من نجاءٍ شِمِلّةٍ عليها فتى كالسيف أروعُ شاحبُ»

«يقول لهما انزلا من ناقة سريعة السير عليها فتى كالسيف في المضاء والحدة كثير الأسفار»[2]، والسيف هنا بالمعنى الحقيقي.

---

(١)انظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٢٩٣.

(٢) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٣٠٠.

وفي موضع آخر من قصيدة الشاعر نفسه قال:

«وإنْ قصُرَت أسيافُنا كان وصــلُها خُطانا إلى أعدائِنا فنضــارِبُ»

يصفهم أنهم حين يطلبون أعداءهم تصل إليهم أسيافهم بسرعة خطاهم في ذلك ونكايتهم في الحرب دون الحاجة إلى وسطاء، والمعنى للأسياف هنا حقيقي.

«وسابغةٌ من جيــادِ الــدروعِ تسمعُ للسيف فيهــا صــليلا»

يقصد الشاعر أن الدروع طويلة فلا تسمع إلا قرع السيف عليها حين يقع بعضه على بعض، فالدروع محكمة لا يؤثر فيها وقع السيف، واستخدام السيف هنا حقيقي.

«إذ تتقي بسُــراةِ آل مُقــاعِسٍ حَذَرَ الأسنّةِ والسيوف تمــيمُ»

الاستخدام لها حقيقي، ومعناه أن تميمًا تتقي بسراة هؤلاء القوم حذرا من الأسنة والسيوف.

الأبيض:

«السَّيف، والجمع البِيْض»[1]، وقد ورد معنى السيف في مادة (بيض) بأشكالها المختلفة في باب الحماســة مــن الــديوان بحيــث وردت مفــردة (أبيض)، وعلى الجمع (بِيض).

وفيما يأتي رصد لورود الكلمات في الــديوان، وبيــان دلالتهــا فــي الاستخدام:

«إذا ما ابتَدَرْنا مأزِقًا فَرَجتْ لنا بأيماننا بيضٌ جَلَتْها الصَّــياقِلِ»

يصف الشاعر وضع قومه إذا مروا بمأزق أو مضيق في الحرب فــإن سيوفهم التي في أيمانهم ستفرج لهم ذلك الضيق وتوســعه، ويشــيد هنــا

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧: ١٢٨.

بالصياقل الذين هم صناع السيوف، ويدلل على اهتمامهم بإصلاح أسلحتهم والحرص على جاهزيتها للقتال ومعنى كلمة بيض هنا حقيقي، ويظهر لي بأن لها معنى تفاؤليا كونها تشبه البياض في لفظها ولونها وهو لفظ مناسب لمعنى السعة بعد الضيق وحصول الفرج في البيت.

«ضربْناكُمُ حتى إذا قام مَيْلُكم ضربنا العدا عنكم ببيضٍ صوارم»

يقول لمن يخاطبهم بأنهم سيعاملونهم معاملة الأعداء حتى يستقيموا ويعتدلوا، ومن ثمّ يضربون عنهم الأعداء بسيوف قواطع، ومعنى بيض هنا حقيقي.

«يُذبِّبُ وردٌ على إثْره وأمكنه وقعَ مردى خَشَب
تتابع لا يبتغي غيره بأبيض كالقبس الملتهب»

يستحثُ وردٌ فرسه على اللحاق بعدوه، فهو لا يريد من هذه الحرب غنيمة سواه، فتبعته بفرسه ممسكا بسيف مثل النار في بريقه ولمعانه، واستعمال كلمة أبيض هنا حقيقي.

«ومالِيَ مالٌ غيرُ درعٍ ومِغفرٍ وأبيضُ من ماءِ الحديد صقيل»

يقول بأنه ليس له من المال إلا درع وغطاء رأسه وسيف مصقول، والمعنى حقيقي.

«ففضّ مجامعَ الكتفينِ منه بأبيض ما يَغِبُّ عن الصِّقال»

يقول: فصل مجمع كتفيه بضربة من سيف مصقول، ولا يقصد بقوله: (ما يغب) أنه يصقله كل يوم، لكنه لم يهمل صقله زمانا ممتدا فهو يستعمله كل يوم، والمعنى حقيقي.

«إذا الدِّين أودى بالفسادِ فقل له يدَعنا ورأسًا من مَعدٍ نصادمه
ببيضٍ خِفافٍ مُرهفاتٍ قواطعٍ لداود فيها أثره وخواتمه»

ذكر أن المصادمة تكون بسيوف خفاف مرهفات الحد قاطعات، «ولم تكن السيوف من صنعة داود عليه السلام حتى يكون له فيها أثر وخواتم وإنما يريد بنسبتها إليه أنها سيوف قديمة»[١]، والمعنى هنا حقيقي.

«أظنك دون المال ذو جئت تبتغي ستلقاك بيضٌ للنفوس قوابض»

«الشاعر قصده في الكلام إلى التهكم والسخرية، وقد خلط به التوعد والاستهانة، لذلك قال أظنك...والمعنى أحسبك الذي جاء دون المال تبتغي صدقاته، سترى ما أعد لك من سيوفٍ تنتزع الأرواح والمهج»[٢]، والمعنى حقيقي.

«وأدركُ هماماً بأبيض صارمٍ فتىً من بني عمروٍ طُوالٌ مشايع»

أي أنه ضرب هماما بسيف قاطع، ثم وصفه بأنه من طوال القامة، والمشايع هو المتابع لأصحابه المقوي لهم، المعنى لأبيض حقيقي.

«فإنْ ترضوا فإنا قد رَضِينا وإن تأبَوا فأطراف الرماح

مقومةٌ وبيضٌ مرهفاتٌ تتر جماجمًا وبنان راح»

مقومة وصف للرماح في البيت الأول، ثم ذكر بأن السيوف مرهفات وحادة قاطعة، تُسقط الجماجم من علية القوم وساداتهم، وتبتر أطراف الأصابع من الكفوف، والمعنى هنا حقيقي.

الحسام:

«الحَسْم: القَطْع، حَسَمَه يحسِمُه حَسْما فانحسم: قطعه، وحسم العرق: قطعه ثم كواه لئلا يسيل دمه، وحسم الداء: قطعه بالدواء... والحُسام: السَّيف القاطِع. وسيف حُسام: قاطِع ... وحسام السيف: طرفه الذي يضرب

(١) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٢٥٦.

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: ٤٥٦.

به، سمي بذلك لأنه يحسم الدم أي يسبقه فكأنه يكويه، والحسم: المنع، وحسمه الشيء يحسمه حسما: منعه إياه»[1].

وردت كلمة حسام في باب الحماسة مرتان فقط:

«صعبُ الكريهة لا يُرام جنابه ماضي العزيمةِ كالحسام المِقْصَل»

يصف الشاعر أحدهم بأنه صعب في القتال أثناء الحرب لما فيه من مضي عزيمته كما يمضي الحسام، والمعنى حقيقي.

«ولكنّي يجولُ المُهر تحتي إلى الغاراتِ بالعضب الحسام»

يقصد بالعضب السيف القاطع وذكر اسم الحسام للسيف وصفا له وتأكيدا على معنى القطع، الاستعمال حقيقي.

العَضْبُ:

«السيفُ القاطع، وسيفٌ عَضْبٌ: قاطع»[2]، ووردت كلمة (عضب) في باب الحماسة من الديوان، وهذا رصد لورودها في الباب، ودلالات الاستخدام:

«وَفَارِس فِي غمار الْمَوْت منغمس إِذا تألّى علَى مَكْرُوهَة صدقا

غَشّيتُه وَهُوَ فِي جأواءَ باسلةٍ عضبًا أصَاب سوَاء الرَّأْس فانفلقا»

يقول: كم فارس صفته هكذا ثم ضربته وهو في جيش تام السلاح كريه اللقاء بسيف قاطع أصاب وسط رأسه فشقه، واستعمال عضب هنا حقيقيا.

«ولكنّي يجول المُهر تحتي إلى الغاراتِ بالعَضْب الحُسام»

سبق ذكره في مادة حسم: يقصد بالعضب السيف القاطع وذكر اسما آخر للسيف وصفا له وتأكيدا على معنى القطع، الاستعمال حقيقي.

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٢: ١٣٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١: ٦٠٩.

«فإلا تصل رَحِم بن عمرو بن مَرْثَد يُعلّمْكَ وصلُ الرّحم عضبٌ مجرّب»

يهدده بالسيف القاطع إن لم يصل رحمه، والمعنى حقيقي.

«بمُطّردٍ لَدنٍ صحاحٍ كعوبُه وذي رونقٍ عضْبٌ يقدّ القوانسا»

«المطرد: الرمح المستقيم، واللدن: اللين، والكعب: ما بين العقدتين، ورونق السيف: ماؤه وحسنه، يقد القوانسا: أي يقطعه طولا، والقوانس: جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد، والمعنى: أرهبت القوم وحملت عليهم برمح مستقيم لين صحيح الكعوب وعضب أي سيف ذي حدة يقطع أعالي بيضة الحديد»(١).

«وأصبَحتُ أعددتُ للنائبات عِرضًا بريئًا وعضبًا صقيلا»

أي أنه لم يُصبح إلا وقد أعد للمصائب والحوادث نفسا نقية، سيفا قاطعا مصقولا.

«وأريحيًّا عضبًا وذا خِصَلٍ مُخلَولِق المتنِ سابقًا تئقا»

«أريحيا يجوز أن يكون وصف السيف بأنه أريحي لأنه يهتز فكأنه يرتاح للضرب أو نسبة إلى أريحا قرية بالشام ... والمعنى وأعددت أيضا سيفا أريحيا قاطعا وفرسا مجتمع الشعر أملس الظهر سابقا كثير النشاط»(٢)، فإن كان يقصد بها رجلا من أريحا فالمعنى مجازي.

(١) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٢٢٢.

(٢) التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ١: ٣١٩.

(١) جدول بياني لنقاط الالتقاء الدلالي بين الألفاظ:

الألفاظ / الملامح	سيف	أبيض	حسام	عضب
مقبض	+			
الحدة	+	+	+	+
السرعة	+	+		
الغمد	+			
الطعن	+	+	+	+
الجرح	+	+	+	+
الإصـــــابة	+	+	+	+
القتل	+	+	+	+
الأثر	+			
القطع	+	+	+	
الصلابة	+			
الثلم	+			
الحماية	+	+	+	+
الركز	+			
الانحناء	+			
البياض	+	+		
الخيانة	+			
الاستعداد	+	+		+
اللمعان	+	+		

الصقل	+	+		+
العدل	+	+		
التشـــــفي	+	+		
النصرة	+	+	+	
القوة	+	+	+	
التأديب	+	+		+
صـــــوت	+			
الاهتزاز				+
الاعتـــــزاز	+			
الســـــعة	+			

(+) الملمح مثبت للفظ، (−) الملمح منفي عن اللفظ، ( ) الملمح منعدم عن اللفظ

(٢) جدول بياني لأنواع العلاقات بين الألفاظ:

	سيف	أبيض	حسام	عضب
سيف	=	ج ل	ج ل	ج ل
أبيض	ج ل	=	ف	ف
حسام	ج ل	ف	=	ف
عضب	ج ل	ف	ف	=

=:اللفظة ذاتها، ف: ترادف، ج ل: جزء من كل،

فج: ترادف جزئي، ت: تضاد

القراءة التحليلية لما سبق:

يتضح مما سبق أن جميع ألفاظ هذا الحقل متداولة في الحرب ووردت في الشعر العربي بدلالاتها المختلفة والمتقاربة جدا.

ويُظهر الجدول الأول ما اتسمت به تلك الألفاظ من ملامح، حسب ورودها في المعاجم وما ورد في الأبيات الشعرية من أوصاف للسيف والأبيض والحسام والعضب، وما أسند إليها من أفعال توضح سمة دلالية فيها، وفيما يأتي تفصيل لها:

السيف:

نجد في هذه الدراسة سمات دلالية كثيرة للسيف، كوجود الغمد في الشطر: «إذا السيوف عريت من الخَلَل»، وفي شطر آخر: «سقاه الردى سيف إذا سل أومضت» عندما اقترن بالفعل سُلّ، وفي البيت:

«نقاسمهم أسيافنا شر قسمةٍ ففينا غواشيها وفيهم صدورها»

عندما عبّر عن الغمد بالغواشي، وقد ذُكر أيضًا أن الغاشية هي المقبض، وهذا إثبات لسمة دلالية أخرى في السيف، وقد اتضحت تلك السمة في عدد من الأبيات –سأشير إليها وأذكر السمات الدلالية الأخرى المشتركة في البيت نفسه– مثل:

«لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل ولي منه ما ضمت عليه الأنامل»

ففي الشطر الأول بيّن أن للسيف أجزاء فجعل الصدر أي النصل والحديد في أعدائهم، وفي الشطر الثاني ما يتم إمساك السيف به في أيديهم، وفي الشطر: «ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا» أيضا إثبات لوجود المقبض، وفيه إشارة إلى الحكم بالسيف، وأنه وسيلة لتحقيق العدل والفصل بين الأمور، وأنه مصدر للنصرة والقوة، وهذا يتضح في البيت الآخر:

«ولكن حكم السيف فينا مسلط فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا»

كما تتجلى نصرة السيف وقوته وحمايته لصاحبه في الشطر: «ففي السيف مولىً نصره لا يحارد»، وفي البيت أيضًا:

«سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاء الله ما كان جالبا»

تحقيق للنصرة والشرف، وفيه فخر بالسيف واعتزاز به، ومما يوضح الاعتزاز بالسيف والاحتماء به والاكتفاء بنصرته وقوته، البيت القائل:

«فلما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر»

وهذا البيت أيضًا:

«أنخنا إليهم مثلهنّ وزادنا جياد السيوف والرماح الخواطر»

وأيضًا:

«وإن قصرُت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب»

بمعنى أنهم مكتفون بوجودها ولهم طريقتهم في الوصول إلى عدوهم بلا واسطة، المهم أن أسيافهم ستصل، وأكثر ما يبيّن اعتزازهم بالسيف القول: «نُعرّض للسيوف إذا التقينا وجوها لا تعرض للّطام» فمما شرحناه في معنى البيت أن الوجوه التي يعرضها الشاعر للضرب بالسيف هي وجوه لا تتعرض للطم باليد لعزتها وشرفها، وأن في ذلك اعتزازا بسيفه وتشرفا به وأنه يعرضه لوجوه الأعزاء والشرفاء من الأعداء، ولهذا معنى قريب جدا في البيت:

«والله لو لاقيته خاليا لآب سيفانا مع الغالب»

أن السيف رمز للعز والشرف القوة والفخر والاعتزاز، حيث عبّر بالسيف عن جميع ما يمتلكانه فالرجل يعرف بسيفه، كما تعرف الأقوام بها أيضًا، ومن ذلك قوله: «فلما التقينا بيّن السيف بيننا» حيث وضح وميّز بين

أحسن الفريقين في القتال، والسيف هنا كناية عن بقية السلاح وفيه دلالة على عظم مكانة السيف، وقد بين أحد الشعراء افتخاره بنفسه فوصف نفسه بأنه سيف فقال:

«أنا السيف إلا أن للسيف نبوة ومثلي لا تنبو عليك مضاربه»

لكنه أنزل نفسه منزلة أعلا من السيف، فأشار إلى أن السيف قد يخون صاحبه ويخذله يوما ما، فلا يصيب موضع الضرب، وأنه أفضل من السيف في أنه لا يخون ولا يخذل، ومن هنا يمكن أن نستدل على ملمح من ملامح السيف وهو خيانته أحيانا وخذلانه لصاحبه.

وفي البيت:

«أحبَّ إلينا من بيوتٍ عمادُها سيوفٌ وأرماحٌ لهن حفيفُ»

تتضح سمة الركز والغرس في الأرض، فهم يغرزونها في الأرض ويستظلون بها، وفي الاستظلال بالسيوف كناية إلى حصول اطمئنانهم به، وأنها مصدر للأمن، وهذا يعود بنا إلى سمة الحماية، وفي البيت:

«إذ تتقي بسراة آل مقاعس حذر الأسنة والسيوف تميمُ»

يتضح أيضا حصول الحماية بالسيف، إذ تتقي تميم بآل مقاعس حذرا من وجودها، وقوله: «إذا حجلوا، بأسياف رَدَينا» إذا مشى العدو مشية حذرة فإنهم يمشون إليهم مسرعين فلا خوف عليهم مادامت الأسياف معهم تحميهم، ومما تتحقق به دلالة الحماية والامتناع والقوة والاكتفاء بالسيف، قوله:

«قراعُ السيوف بالسيوف أحلّنا بأرض براح ذي أراك وذي أثل»

نزولهم للقتال بالسيوف في أرض براح لا هضاب فيها ولا جبال يمتنعون بها، فيكفي امتناعهم بالسيوف ومقارعة أعدائهم بها، ومن ثم قتلهم.

ويحصل الفرج وتتحقق سعة الحال بواسطة السيف، وهذا يظهر في تعبير الشاعر:

«ونركب الكُره أحياناً فيفرجه عنا الحفاظ وأسيافٌ تواتينا»

وفيه إشارة إلى طواعية السيف لصاحبه، وسواء قصد بالأسياف هنا الرجال أو السيف بمعناه الحقيقي فإن صفتي السعة والفرج لا تنفك عنهما، وإلا فما الداعي لتشبيه الرجال بالأسياف؟

ونجد ملامحا دلالية أخرى في الأبيات مثل وجود الأثر للحرب في السيوف من ثلم أو انحناء وغيرها نتيجة للتقارع بالسيوف وكناية عن شدة الحرب والمبارزة والضرب، ومن ذلك:

«وأسيافنا في كل غرب ومشرق بها من قِراع الدارعين فلول»

فالفلول موجودة لكثرة تقارع السيوف بالدروع، وقوله: «وأبنا بالسيوف قد انحنينا» في انحناء السيف كناية عن شدة المقارعة والضرب في الأجساد والدروع، والبيت:

«وسابغة من جياد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا»

إشارة إلى حصول المقارعة بين السيف والدروع السابغات الطوال، ويدلل على ذلك صوت ضرب الحديد بالحديد، وقوله:

«وأنا نضرب الملحاء حتى تولي والسيوف لنا شهود»

فالأثر في السيوف هو الشاهد، وفي البيت دلالة على حصول الضرب بالسيف أيضًا، ومما يدل على الضرب أيضًا: «وأضربَ منا بالسيوف

القوانسَا»، وقوله: «ولما عصينا بالسيوف تقطعت» وعصينا هنا بمعنى: ضربنا، وهذا واضح أيضًا في الشطر الثاني من البيت:

«أنا السيف إلا أن للسيف نبوة ومثلي لا تنبو عليك مضاربه»

ومما يدل على حدة السيف، قوله: «وموقفٍ مثل حد السيف قمت به»، وقوله: «عليها فتى كالسيف أروع شاحب» حين شبه الفتى بالسيف في حدته ومضاءه، وحدة السيف تقتضي حصول القطع والبتر والطعن والإصابة به، ومن ذلك: «بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما»، وقوله: «صوارم كلها ذكر صنيع» وصوارم هنا بمعنى: قواطع حادة ومصقولة، وفي قوله:

«عشية قطعنا قرائن بيننا بأسيافنا والشاهدون بنو بدر»

القطه حصل بالأسياف سواء كان القطع هنا حقيقيا أو كان مجازيا يقصد به قطع الرحم والصلة، وقوله: «وثور أصابته السيوف القواطع» دليل على سمة القطع للسيوف، ومما يدل على الإصابة والدقة قول الشاعر: «أقول وسيفي في مفارق أغلب» إصابة أغلب في مفرق رأسه، والسمات السابقة من قطع وضرب وإصابة تقتضي حصول الجرح، وتصل به إلى القتل، ومن ذلك: «سقاه الردى سيفٌ»، وقوله: «وقد خر كالجذع السحوق المشذب» وقوله:

«سموا نحو قيل القوم يبتدرونه بأسيافهم حتى هوى فتقطرا»

وقوله:

«وإنا لتصبح أسيافنا إذا ما اصطبحن بيوم سفوك»

كناية عن تعطش الأسياف للقتل وشرب الدماء، وقوله: «وسيفي من حذيفة قد شفاني» دليل على وقوع حذيفة قتيلا، وفيه سمة أخرى وهي التشفي والتداوي وحصول الراحة والسكينة، وتحقيق السيف للنصرة

وحصول الانتقام والثأر، ومما يدل على حصول القتل بالسيف أيضًا: «وخاض الموتَ بالسيف بيهسُ».

ومما يدل على لمعان السيوف وبريقها قول الشاعر:

«إذا نفَرَتْ من بياض السيو ف قلنا لها أقدمي مقدما»

فالخيل تنفر من شدة لمعان السيوف وبريقها في الحرب، وكذلك قوله:

«سقاه الردى سيف إذا سل أو مضت إليه ثنايا الموت من كل مرقب»

وقوله أيضًا: «تلألؤ مزنة برقت لأخرى».

«إذا قال سيف الله كروا عليهم» هنا وردت كلمة السيف لقبا حيث أطلقه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على خالد بن الوليد لاتصافه بما تتصف به السيوف من قوة وحزم وصبر ومضاء وسداد.

الأبيض:

نجد للمفردة سمات دلالية فيما ورد من أبيات في باب الحماسة، كالسعة والفرج التي تحصل باستخدام السيف في الحرب، وذلك في قول الشاعر:

«إذا ما ابتدرنا مأزقا فرجت لنا بأيماننا بيض جلتها الصياقل»

كما أن فيه ملمحا دلاليا آخر وهو الصقل للسيف، واتضح هذا الملمح في أبيات أخرى، مثل الشطر: «وأبيضُ من ماءِ الحديد صقيل»، وكذلك:

«ففض مجامع الكتفين منه بأبيض ما يغب عن الصقال»

والواضح في الشطر الأول من البيت وجود صفة الفصل والقطع والحدة في السيف، وقد اتضح في مواضع أخرى، مثل: «ببيض خفاف مرهفات قواطع»، وقوله: «وأدرك هماما بأبيض صارمٍ» والصارم هو القاطع، وأيضًا في البيت:

«مقومـــةٌ، وبـــيضٌ مرهفـــاتٌ تتـــر جماجمًـــا وبنـــان راح»

المقومة لفظ للرمح في بيت قبلها، والبـــيض المرهفـــات أي: الحـــادة القاطعة تُسقط الجماجم وتقطع الأصابع، وتتضح أيضًا سمة الجرح من هـــذا البيت، والواضح أيضًا أن السيف له سمة الدقة وإصـــابة الموضـــع وهـــذا واضح من تخصيص الجماجم والأصابع بالذكر، ، وكذلك في قول الشاعر:

«ضربناكم حتى إذا قام ميلكم ضربنا العدا عنكم ببيض صوارم»

تتضح صفتا الضرب والقطع، وأيضا يصل بنا البيت إلى سمات دلاليـــة أخرى وهي حصول الحماية والقوة والاستعداد بالســـيف وتحقيـــق العـــدل والتأديب، وهذا واضح في البيتين الآتيين:

«إذا الدين أودى بالفساد فقل له يدعنا ورأسا من معد نصـــادمه

ببيض خفاف مرهفات قواطـــع لداود فيهـــا أثـــره وخواتمـــه»

وفي البيت:

«أظنك دون المال ذو جئت تبتغـــي ستلقاك بيضٌ للنفوس قوابض»

تتجلى صفة التأديب به وتحقيق العدل، كما تتضح دلالة وقوع القتـــل بالسيف، وتظهر أيضًا دلالة وقوع القتل به في البيتين:

«يُـــذبِّب وردٌ علـــى إثـــره وأمكنه وقـــع مـــردى خشـــب

تتـــابع لا يبتغـــي غيـــره بـــأبيض كـــالقبس الملتهـــب»

كما تتجلى صفة البريق واللمعان للسيف، ومن الممكن أيضًا اســـتنتاج وجود سمة السرعة فيه من تشبيهه بالقبس، ومن مناسبة الأبيات يتضح أن السيف وسيلة للتشفي والأخذ بالثأر.

الحسام:

لأنه لم يرد إلا مرتين في باب الحماسة كانت السمات الدلالية المثبتة في الأبيات قليلة جدا مقارنة بالسيف والأبيض، وأبرز سمة دلالية واضحة من مسماه أساسا وهي القطع، ففي البيت:

«صعب الكريهة لا يُرام جنابه ماضي العزيمة كالحسام المِقْصَل»

اتضحت صفة القطع ووجودها يقتضي حدة الحسام، والحدة تقتضي حصول الطعن والجرح به وهذا يقتضي أيضًا حصول القتل به، وفيه إشارة إلى حصول القوة فمن يمضي في عزيمته لابد أن يكون قويًا، وتشبيهه بالحسام يثبت هذه الصفة في المشبه به، وفي البيت:

«ولكنّي يجول المُهر تحتي إلى الغارات بالعضب الحسام»

فيه إشارة إلى ما وضح من سمات في البيت السابق بالإضافة إلى أن من يمضي إلى الحرب بالحسام فإنه مطمئن لحصول الحماية به.

العضب:

تتضح به سمة الإصابة والدقة في الشطر: «عضبا أصَاب سَوَاء الرَّأْس فانفلقا»، وتتضح منه أيضا صفة القطع، كما تتجلى صفتا القطع والإصابة في قوله: «وذي رونقٍ عضب يقد القوانسا» فالقطع من الفعل يقد، والإصابة من ذكر القونس.

ويتضح حصول الحماية والاستعداد للحرب بامتلاك العضب في قوله:

«ولكنّي يجول المُهر تحتي إلى الغارات بالعضب الحسام»

واكتفاؤه بالسيف إشارة إلى القوة به، ومن دلائل الاستعداد بامتلاك العضب قول الشاعر:

«وأصبحت أعددت للنائبات عِرضا بريئا وعضبا صقيلا»

وفيه دلالة أيضًا على حدته ولمعانه نتيجة الصقل.

وعن استخدامه للتأديب والتهديد بالقتل قول الشاعر:

«فإلا تصل رحم بن عمرو بن مرثد يعلمك وصل الرحم عضب مجرب»

وللعضب صفة الاهتزاز ويتضح ذلك في الشطر: «وأريحيا عضبا وذا خصل» فالأريحي الذي يهتز فكأنه مرتاح للضرب.

وقد وردت أسماء أخرى للسيف أو ما يدل على جزء منه في باب الحماسة من الديوان، مثل:

الظُّبَة:

«حَدُّ السَّيْفِ والسِّنانِ والنَّصْل والخَنجر وَمَا أَشْبه ذَلِكَ ... وَالْجَمْعُ ظُبَاتٌ وظِبُونَ وظُبُونَ»(١).

«إذا الكُماةُ تنحّوا أن ينالَهم حدُّ الظُّباتِ وصلناها بأيدينا»

«تسيلُ على حدِّ الظباتِ نفوسُنا ولَيْسَت على غيرِ الظُّباتِ تسيل»

المُرهف:

«وأَرْهَفْتُ سَيْفِي أَي رَقَّقْتُه، فَهُوَ مُرْهَف، وسَهْم مُرْهَفٌ وَسَيْفٌ مُرْهَفٌ ورَهِيف وَقَدْ رَهَفْتُه وأَرْهَفْتُه، فَهُوَ مَرْهُوف ومُرْهَف أَي رَقَّتْ حَواشِيه، وأَكثر مَا يُقَالُ مُرْهَف»(٢).

«بِكُرْه سراتنا يا آل عمرٍو نُغاديكُم بمُرهفة صقالِ»

«إذا ما حَمَلنا حملةً مَثَلُو لنا بِمُرهَفَةٍ تُذْوِي السَّواعد من صُعْد»

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٥: ٢٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٩: ١٢٨.

المُهند:

«وهنَّدَ السيف: شَحَذَه. والتَّهنِيد: شَحْذُ السَّيف؛ قال:

«كـل حُسـامٍ مُحكـمِ التَّهنِيـدِ
يقْضِبُ عنـد الهـزِّ والتجريـد
سـالِفةِ الهامـةِ واللِّديـدِ»

قال الأزهري: «والأصل في التَّهنِيد عملُ الهند. يقـال: سـيفٌ مُهَنّـدٌ وهِنْديٌ وهُنْدُوانّيٌ إذا عُمِلَ ببلادِ الهندِ وأُحكِـمَ عملُـه، والمُهَنّـدُ: السـيفُ المطبوعُ من حديدِ الهند»[١]

«فولّوا تحت قِطقِطِها سـراعا تكـبهمُ المهنـدةُ الـذكور»
«بهـا قُضُـبٌ هُنداويـة وعِيصٌ تزاعر فيـه الأسـود»

المشرفيّ:

«قولا لهذا المرء ذو جاء ساعيًا هلّم فإن المَشـرفيَّ الفـرائضُ»
«ولمّا يكـن للمشـرفيّة فـيكمُ شُجاعٌ كقَرن الشمسِ حين ترحَل»

السريجيّ:

«سُرَيْجٌ: قَيْنٌ معروف، وَالسُّيُوفُ السُّرَيْجِيَّةُ، منسـوبة إليـه، وشـبّه الْعَجَاجُ بها حُسْنَ الأنف في الدِّقَّـة والاسـتواء، فقـال: وفاحِمًـا ومَرْسِـنًا مُسَرَّجا»[٢]

«إذا همّ ألقى بين عينيه عزمهُ وصمّمَ تصميم السُّرَيْجيِّ ذي الأثـر»

المُنصل:

«أمّا حكيمٌ فالتمسـت دِماغَـهُ ومَقِيلَ هامتِهِ بِحـدِّ المُنْصُـلِ»

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣: ٤٣٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢: ٢٩٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم علي بتمام هذه الدراسة، محققة استفادة كبرى في نهل معلومات ثرية، وفي ختام هذه الدراسة أدون ما خلصت إليه من نتائج، وهي كما يأتي:

١. طُبِّقت الدِّراسة على (٨) ألفاظ موزَّعَة في حقلين دلاليين، بالوقوف على معانيها، وتحليلها ورصد الملامح المصاحبة، والنَّظر في العلاقات بين الكلمات في الحقل نفسه.

٢. جميع الألفاظ التي وقفت عليها عربية محضة، ليست معرّبة ولا دخيلة، وهذا دليل على عدم قصور اللغة العربية في التعبير.

٣. قلة الملامح المصاحبة لبعض الألفاظ داخل الدراسة بسبب عدم ورودها ضمن الشواهد رغم مصاحبتها لها في الاستعمال خارج حدود مادة الدراسة حدّ من إيجاد كافة العلاقات بين ألفاظ الحقل الواحد.

٤. بالرغم من قلة الملامح إلا إن الدراسة أظهرت تفاوتا في العلاقات بين الألفاظ فكثرة المترادفات اللغوية واختصاص كل منها بمعنى دقيق يبرهن على سعة المخزون اللفظي في اللغة العربية، وسعة المجال لاختيار كلمات أنسب في الاستعمال.

٥. التفاوت في الترادف يوضح أن لبعض الألفاظ ظروف تحكم معناها وتحدده، باقتصارها على جنس معين، أو ظرف زمني أو مكاني، أو حتى مناخي، وغيرها من الظروف التي تحدد المعنى الدقيق للفظ.

٦. العلاقات بين الألفاظ متغيرة بتغير الملامح الدلالية المصاحبة لها، ونوع الكلمات الواردة في البيت، من حيث اشتقاق اللفظ.

٧.عدم إمكانية إيجاد بعض أنواع العلاقات بين الألفاظ كعلاقة الجزء بالكل دليل على أن هناك ألفاظا في العربية لا تقبل التقسيم.

أسأل الله التوفيق وأن يلهمنا الصواب في جميع أمورنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- الباشا، عبدالرحمن رأفت، الصيد عند العرب، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
- التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ، شرح ديوان الحماسة، بيروت: دار القلم.
- الرازي، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- المرزوقي، أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٤٢٩
٢-	Abstract	١٤٣١
٣-	المقدمة:	١٤٣٣
٤-	أدوات الحرب: دوال السلاح	١٤٣٥
٥-	المبحث الأول: الرمح – القناة - السنان - النصل	١٤٣٦
٦-	المبحث الثاني: السيف - الحسام - الأبيض - العضب	١٤٥٦
٧-	الخاتمة	١٤٨٢
٨-	المصادر والمراجع	١٤٨٤
٩-	فهرس الموضوعات	١٤٨٥